أسماء
نشرة تستعرض سير وتراجم مضيئة متصلة بتاريخ الشيعة وأهل البيت عليهم السلام
٣

المحرر:
صادق جعفر

رضوى للانتاج الثقافي

بعثة مسلم بن عقيل عليه السلام

الاستيثاق الميداني

(من ٥ شوال إلى ٨ ذو الحجة)

ساهمت بعثة مسلم بن عقيل عليه السلام في إيضاح كل الإشكالات والانعطافات في وجه حركة الامام الحسين عليه السلام.

في هذا العدد نتطرق إلى موجز من سيرة مسلم بن عقيل عليه السلام ونحلل بعض مواقفه التي قد تلتبس على بعض المحبين من شيعة أهل البيت عليهم السلام.

بعثة مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه كانت بداية لكشف كل الإشكالات والانعطافات في حركة الكوفيين تجاه الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام، وإن كانت نتائجها معروفة للجميع، إلا أننا بحاجة إلى تسليط الضوء على الأسباب والعلل والمسارات التي أدت إلى تلك النتائج، ومن أجل ذلك سنمهّد للموضوع ببعض التمهيدات.

أهداف البعثة:

بقي مسلم رحمه الله في الكوفة من دخوله إليها وحتى استشهاده فيها ثلاثة وستون يوماً، وقد بعث بكتابه إلى الإمام عليه السلام ليؤكد مبايعة أهل الكوفة له بعد سبعة وثلاثين يوماً وهو ما زال في بيت المختار، وبعد وصول ابن زياد إلى الكوفة والياً انتقل مسلم رحمه الله إلى بيت هاني بن عروة ولعله بقي عنده مقدار أسبوعين أو أكثر أو أقل، ثم حدثت المواجهة بينه وبين ابن زياد بعد اعتقال هاني مما أدى إلى اعتقاله واستشهاده رحمه الله.

ولتوضيح مواقف مسلم في الكوفة، لابد وأن نفهم في البداية أهداف بعثته كما هي وخطة عمله التي اتفق عليها مع الإمام الحسين عليه السلام عند إرساله إيّاه إلى الكوفة، فقد كانت أهداف بعثته كالتالي:

١- الاستيثاق من بيعة أهل الكوفة، فكثرة الرسائل والوعود لم تكن لوحدها تعني الشيء الكثير إن لم يكن هناك ما يؤكدها، ولذا فقد ارسل الإمام عليه السلام مسلماً لكي يستوثق من بيعة الكوفيين له ويتأكد من استعدادهم للوقوف إلى جانبه في مهمته الإصلاحية الكبرى، فعن الطبري: عن عمار الدهني عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: بعث الحسين عليه السلام إلى مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمه، فقال له: سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إليّ، فإن كان حقاً خرجنا إليهم.

وعن الدينوري: أن الإمام الحسين عليه السلام قال لمسلم: يا ابن عم، قد رأيتُ أن تسير إلى الكوفة فتنظر ما اجتمع عليه رأي أهلها، فإن كانوا على ما أتتني به كتبهم، فعجّل علي بكتابك لأُسرع القدوم عليك، وإن تكن الأخرى فعجّل الانصراف.

٢- اختبار مدى تماسك ولاء الكوفيين وما إذا كانوا من ذوي الاستقامة على العهود والمواثيق أم ممن تؤثر فيهم المتغيرات وتبدل آرائهم الأحداث، وقد أشار ابن كثير لذلك بقوله: عند ذلك بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتماً وأمراً حازماً مُحكماً بعث إليه ليركب في أهله وذويه ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديه، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك.

٣- لم يظهر من كلام الإمام عليه السلام مع مسلم ما يشير بأي شكل من الأشكال إلى أن هدف بعثة مسلم هو الاستيلاء على الحكم في الكوفة أو الثورة أو الانقلاب على الوالي، وإنما كان الهدف بشكل واضح هو تهيئة الأجواء وأخذ البيعة وإحكام الأمر إلى أن يقدم الإمام عليه السلام.

وقد أوضح الإمام عليه السلام ذلك في مخاطبته لمسلم ولأهل الكوفة، فقد كتب إليهم:(ابن الجوزي)

قد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم، فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي مَلْئِكم و ذي الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم قدمت عليكم، وإلّا لم أقْدِم، والسلام.

كما قال عليه السلام لمسلم:(الأصفهاني) اشخص إلى الكوفة، فإن رأيت منهم اجتماعاً على ما كتبوا ورأيته أمراً ترى الخروج معه، فاكتب إلي برأيك.

وقول الإمام عليه السلام (أمراً ترى الخروج معه) لا يعني بذلك إمكانية خروج مسلم، وإنما إمكانية خروج الإمام عليه السلام بحركته الإصلاحية بمساندة أهل الكوفة الذين راسلوه ووعدوه، فمسلم رحمه الله لم يكن بإمكانه أن يغطّي مكان الإمام في النهضة والثورة على حكم يزيد، ولم يكن الكوفيون قد أبدوا استعدادهم لاتباع أحد غير الإمام، فبالرغم من وجود العديد من الشخصيات الصالحة والثائرة في أوساطهم إلا إن الشخص الوحيد الذي توافقوا عليه كلهم (على الأقل فيما بدا من كتبهم) هو الإمام عليه السلام.

مخطط البعثة:

كان مخطط بعثة الإمام عليه السلام لرسول له إلى أهل الكوفة يتشكّل من مجوعة خطوات لخّصها الإمام عليه السلام في حديثه مع مسلم حيث بعثه، فقال له: (ابن أعثم) إنّي مُوجهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إليْ، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي، وأخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي، فعجل لي بالخبر، حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى.

وعن الطبري، إن الإمام عليه السلام دعا مسلم بن عقيل فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد السلولي وعبدالرحمن بن عبدالله بن الكدن الأرحبي، فأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك.

فكان المخطط كالتالي:

١- ابتعاث من هو مؤهل لهذا الدور، وقد تبيّن بأن ذلك الرسول المؤهل هو مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه، وستثبت الأيام أنه كان دقيقاً وصارماً وحازماً في قيامه بدوره وكان تقيّاً كما أمره الإمام عليه السلام، ولذلك أودعه ثقته في هذا الشأن، فقال في كتابه لأهل الكوفة: قد بعثت لكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي.

٢- النزول عند أوثق الناس في الكوفة: وقد كان أوثق الناس لهذا الأمر من حيث الولاء والكفاءة والقدرة على تحشيد الموالين والشجاعة في إظهار الدعم لسفير الإمام عليه السلام المختار بن أبي عبيد الثقفي، فكان نزول مسلم عنده أغلب المدة التي كان فيها في الكوفة، وأوثق الناس بعده هو هاني بن عروة المرادي الذي انتقل إليه مسلم بعد تحوّله عن دار المختار، ويبدو أن أوثق الناس بعدهما لهذا الدور هو مسلم بن عوسجة، حيث تشير بعض المرويات أنه كان يستقبل المبايعين للإمام عليه السلام في بيته ويستوثق منهم قبل أن يأخذهم للقاء مسلم في بيت هاني.

٣- الدعوة إلى طاعة الإمام عليه السلام، مع استعمال الكتمان والتلطّف في ذلك قدر الإمكان خصوصاً في الأيام الأولى، إلى أن يستحكم أمر البيعة.

٤- التخذيل عن آل أبي سفيان أي عن طاعة النظام الأموي برمته ومن يمثله في الكوفة وغيرها.

٥- جمع الناس على بيعة الإمام عليه السلام، والاستيساق (أو الاستيثاق) منها.

٦- التعجيل بإبلاغه بهذه الأمور إن تمّت، ليقرر الإمام على ضوئها ما تقتضيه الأمور.

المبايعة:

حين وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة نزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي (الطبري والمفيد وغيرهما)،

وأقبلت الشيعة تختلف إليه وتبايع الإمام الحسين عليه السلام على يديه، واشتهر الأمر مع مرور الأيام حتى بلغ أسماع السلطات الأموية في الكوفة.

قال ابن الأعثم: وجعلت الشيعة تختلف إلى دار مسلم وهو يقرأ عليهم كتاب الحسين والقوم يبكون شوقاً منهم إلى قدوم الحسين عليه السلام، ثم تقدم إلى مسلم بن عقيل رجل من همدان يقال له عابس بن أبي شبيب الشاكري، فقال: (الخوارزمي)

مسلم السياسي: لم تجرف الحماسة مسلم رحمه الله ولم تدفعه لاتخاذ قرارات خاطئة كالهجوم على قصر الرئاسة في الكوفة أو اغتيال ابن زياد في بيت هانئ بن عروة أو غير ذلك، فكما قلنا سابقاً بأن مهمة مسلم انحصرت في اختبار ولاء أهل الكوفة وبيعتهم، وليس في الهجوم على القصور واغتيال الولاة، فالإمام الحسين عليه السلام لم يكن يريد أن يقوم بانقلاب عسكري (فقد كان بإمكانه عليه السلام الانقلاب على والي المدينة المنورة ووالي مكة المكرمة والاستحواذ على رئاسة الحجاز ثم جمع جيش من المقاتلين للاتجاه إلى العراق والاستيلاء عليه، وقد رأينا من بعده أن ابن الزبير استحوذ على ولاية مكة المكرمة ومن بعدها على الحجاز بأكمله ثم بعث بجيشه إلى العراق واستولى عليه) وإنما كان الإمام عليه السلام يريد أن يقوم بنهضة إصلاحية كبرى يُشارك فيها عامة الناس بإرادتهم وباختيارهم، وقلنا بأن هذا هو نمط عمل الرسل والأنبياء والأوصياء الذين كان ديدنهم الأساسي إصلاح الناس وتعبئتهم باتجاه عمل الخير ولم يكن هدفهم يوماً استحصال الملك والرئاسة وكرسي السلطنة (حتى بالنسبة لمن ملك وحكم منهم عليهم السلام).

أما بعد، فإني لا أخبرك عن الناس بشيء فإني لا أعلم ما في أنفسهم، ولكني أخبرك عما أنا موطن عليه نفسي، والله أجيبكم إذا دعوتم وأقاتل معكم عدوكم وأضرب بسيفي دونكم أبداً حتى ألقى الله، وأنا لا أريد بذلك إلا ما عنده.

ثم قام حبيب بن مظاهر الأسدي الفقعسي، قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على ما أنت عليه.

وتبايعت الشيعة على كلام هذين الرجلين.

وقال ابن حبّان: (الريشهري) (اختلفت إليه الشيعة يبايعونه أرسالاً)، أي أفواجاً وفرقاً متقطّعة.

وقال اليعقوبي: بايعوه وعاهدوه وعاقدوه وأعطوه المواثيق على النصرة والمشايعة والوفاء.

وقال ابن أعثم: جعلت الشيعة تختلف إلى مسلم رحمه الله في دار هانئ ويبايعون للحسين سراً، ومسلم بن عقيل يكتب أسماءهم ويأخذ عليهم العهود والمواثيق لا يركنون ولا يعذرون.

وورد في المرويات أن من بايع مسلم بلغوا اثني عشر ألفاً، وثمانية عشر ألف، ونيّف وعشرون ألف، وخمسة وعشرون ألف، وثلاثون ألف، وأربعون ألفاً، ولعل هذه الأرقام كلها صحيحة والكلام إنما هو في توالي مراحل البيعة وتكاثرها.

فعن ابن عساكر أن من بايع الإمام عليه السلام إثنا عشر الف، وكتب ابن كثير قائلاً: (فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفاً، ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفا)، وذكر ابن أعثم أن من بايعوا بلغوا نيّف وعشرون ألفاً، وقال ابن شهر آشوب: (بايعه خمسة وعشرون ألف رجل)، وقال ابن نما: عن داود بن أبي هند عن الشعبي، قال: (بايع الحسين عليه السلام أربعون ألفاً من أهل الكوفة على أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم)، وقال الناس(ابن نما) لابن زياد حين دخل الكوفة متلثّماً فظنوا أنه الإمام (إنّا معك أكثر من أربعين ألفا) .

كتاب مسلم إلى الإمام عليه السلام:

ذكر الطبري عن جعفر بن حذيفة الطائي، قال: كان مسلم ابن عقيل حيث تحول إلى دار هانئ بن عروة وبايعه ثمانية عشر ألفاً، قدّم كتابا إلى حسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكري: أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي فإن الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى، والسلام.

وقال أيضاً عن محمد بن قيس: كان مسلم قد كتب إلى الحسين قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة: أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، إن جمع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام.

تحول مسلم لبيت هانيء بن عروة:

قال في الإرشاد: (المفيد) لما سمعَ مسلمُ بنُ عقيلٍ رحمه الله بمجيءِ عبيدِالله بنِ زيادٍ الكوفةَ وما أخذَ به العُرفاءَ والنّاسَ، خَرجَ من دارِ المختارِ

حتّى انتهى إلى دارِ هانئ بنِ عُروةَ فدخلَها، وأخذتِ الشِّيعةُ تختلفُ إليه فِي دارِ هانئ على تستُّرٍ واستخفاف من عبيدِاللهِ، وتواصَوْا بالكتمانِ.

ويبدو أن الانتقال من بيت المختار كان بسبب اشتهار خبر تواجد مسلم فيه عند الناس وعند السلطة، وأما الانتقال لبيت هانئ فلربما بسبب منعة هانئ وقدرته على حمايته فهو سيد البلد وزعيم مراد.

ويبدو أن ذلك الانتقال حدث في السرّ، فعبيدالله بقي لأيام عديدة يحاول العثور على المكان الذي انتقل إليه مسلم، ويبدو أن المدة بين دخول ابن زياد الكوفة وبين مصرع مسلم رَحِمَهُ اللهُ قد استغرقت ثلاثة أسابيع أو أكثر ببضعة أيام.

دخول بن زياد بيت هاني بن عروة:

وهنا حادثة أثارت الكثير من الجدل لدى المؤرخين والمحللين، وهي حادثة دخول عبيدالله بن زياد بيت هانئ بن عروة دون علمه بوجود مسلم بن عقيل هناك.

وخلاصة القصة أن ابن زياد أراد زيارة أحد الوجهاء الذين أخرجهم معه من البصرة فمرض في الطريق ودخل الكوفة عليلاً فاستضافه هاني ين عروة في بيته قبل حلول مسلم بن عقيل عليه، فلما اشتدت علّته قرر ابن زياد زيارته دون علمه باختباء ابن عقيل في ذات المكان، فاقترح شريك (وهو المريض وكان شيعياً موالياً لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أن يتم عمل كمين لابن زياد فيقوم مسلم بالاختباء في مكان يمكنه حين دخول ابن زياد أن يهجم عليه ويقتله.

تساؤل:

والسؤال الذي أثار الكثير من الجدل هو لماذا لم يقدم مسلم على اغتيال ابن زياد في بيت هانئ وقد سنحت له الفرصة؟

والجواب هو:

١- لم يكن اغتيال ابن زياد ليحقق أي من أهداف بعثة مسلم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمسلم جاء ليختبر الكوفيين ويستوثق منهم لبيعة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولو كان يريد اغتيال الوالي والاستيلاء على قصر الإمارة لفعل ذلك في عهد النعمان بن بشير فقد كانت الأمور أسهل والكوفيون كانوا يستسهلون التعرض للنعمان، ولو افترضنا أن هذه الفكرة تأخرت قليلاً فقد كان بالإمكان الترصّد لابن زياد قبل وصوله إلى الكوفة واغتياله حين دخلها مع بضعة من رجاله، أو كان بالإمكان اغتياله في المسجد وهو يصلّي جماعة بالناس بل واغتيال حرّاسه معه، فثمانية عشر ألف مقاتل ليسوا بقليلين ولو كان مسلم يريد اغتيال ابن زياد لكانت الطرق والوسائل أمامه عديدة.

مسلم الإداري: أدار مسلم رَحِمَهُ اللهُ عملية البيعة بدقة عالية بحيث خفي على السلطة مكانه وأتباعه وإدارته لمجريات الأمور بالرغم من مرور حوالي شهرين على وجوده هناك وبالرغم من مبايعة الآلاف له، وحتى عملية انتقاله من مقرٍّ إلى آخر لم تؤدي إلى كشف مكانه لدى السلطات، والثغرة الأمنية التي تعرض لها من خلال جاسوس ابن زياد إنما حصلت بسبب قرار اتخذه مساعدوه (مسلم بن عوسجة رَحِمَهُ اللهُ) وفي مثل هذه الحالة والسياق الذي جرت فيه، لا يستغرب حدوث مثل تلك الثغرات، حيث أن الأطراف مستنفرة إلى حدّها الأقصى وتسعى بكل وسيلة إلى كشف أوضاع الطرف الآخر.

٢- اغتيال ابن زياد في هذه الحالة كان سيقوم به مسلم لوحده كفرد، ولربما عاونه في خدعته اثنان أو ثلاثة من الناس (هانئ وشريك) ولكن لم يكن هذا ما يطلبه مسلم ومن خلفه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهما كانا يريدان فعلاً جماهيرياً عاماً يتخذونه مَعْلَماً ودليلاً على نصرة عامة جمهور الناس لهما، فلو أن الناس حين دخل ابن زياد الكوفة ثاروا عليه بأجمعهم أو بغالبيتهم وأخرجوه من الكوفة أو قتلوه لما اعترض عليهم أحد لأنهم سيكونون قاموا بما يقوم به المظلومون في وجه الظالم، ولكن الناس تركوه مع ضعفه الظاهر في البداية وقلة معاونيه ولم يتعرضوا له بشيء يذكر.

٣- اغتيال ابن زياد في بيت هانئ كان سيعرض هانئ وجميع عشيرته لانتقام دموي رهيب من قبل سلطات بني أمية فيما لو قرر يزيد تسيير جيشاً جراراً من الشام إلى العراق للانتقام لواليه المقتول ولتثبيت وال جديد مكانه، وكان

سيفعل بالعراقيين كما فعل فيما بعد بآل رسول الله وأبناءه وعترته الشريفة في كربلاء، وكما فعل بأهل المدينة المنورة التي استباحها عن آخرها، وكما فعل بمكة المكرمة حين غزاها وأحرق الكعبة المشرفة بالمنجنيق، ولذا لم يشأ مسلم إن يحمّل هانئاً هذا الحمل الثقيل، ولو أن عامة الناس شاركت في قتال ابن زياد وقتله لكان ذلك أهون بكثير وستكون حينها المسئولية على عاتق عامة الناس وليست مسئولية شخص بعينه.

٤- إن اغتيال ابن زياد في تلك اللحظة دون ضمان مساندة الناس ووقوفهم في وجه الدولة الأموية، كان سيعطي الأمويين المبرر فيما لو عالجوا الأمر بطريقتهم الدموية واسترجعوا حكم العراق، وسيعطيهم الغطاء السياسي لفعل كل ما فعلوه بكربلاء دون أن يلومهم أحد لأن حجتهم ستكون أنهم كانوا يردون على حالة الانقلاب الغادر الذي حصل ضدهم في الكوفة وذهب ضحيته واليهم الرسمي عليها ولن يكون عندئذ لممثل الإمام عليه السلام وسفيره عذر، وستكون سبّة لهم طول الدهر أنهم استضافوا شخصاً جاء عائداً لمريض لهم فغدروا به وخانوه وقتلوه، وبالتالي كانت ستشوّه هذه القضية أخلاقيات الحركة الحسينية أيما تشويه.

٥- إن كل ذلك هو مخالف لبرهان الاستيثاق، أي إن اغتيال ابن زياد بواسطة سيف مسلم لا يثبت أن أهل الكوفة مستعدين لنصرة الإمام والقيام معه في حركته، وبالتالي لا يقدم أي دليل على طلب الإمام من مسلم بالاستسياق أو الاستيثاق من بيعة أهل الكوفة.

والخلاصة هي إن كل ما جرى فيما بعد من اعتقال هانئ وعدم نصرة قومه له، وخذلان الكوفيون لمسلم، أثبت صحة ودقّة موقف مسلم عليه السلام.

الاختبار الحاسم:

حين اعتقل هانئاً رضي الله عنه، قرر مسلم عليه السلام القيام بالسلاح والتوجه نحو قصر الإمارة، فدعا بالشعار المتفق عليه بينه وبين أصحابه ليجتمعوا إليه، وقد اختلفت الروايات حول عدد من خرج معه في تلك اللحظة، فمن قائل ثمانية عشر ألف (مقاتل الخوارزمي، ومروج الذهب)، ومن قائل ثمانية آلاف (مناقب آل أبي طالب) ومن قائل أربعة آلاف (الطبري، والإرشاد، والبداية والنهاية، وأنساب الأشراف)، ومن قائل ثلاثة آلاف (الثقات) ومن قائل أربعمائة (الطبقات الكبرى)، ونحن نميل إلى الأربعة آلاف لأنها أكثر المرويات، ولأنه من الصعب وبصورة مفاجئة جمع ثمانية عشر ألف مقاتل في ساعة واحدة، ولأن هؤلاء الأربعة آلاف كانوا في الأحياء المحيطة بدار هانئ بن عروة.

وأما ابن زياد فقيل أنه حين أحاط به مسلم بمقاتليه كان معه في قصر الإمارة خمسون شخصاً (ثلاثون شرطيّاً وعشرون من وجهاء الكوفة) وقيل مائتين من الناس، ولعلهم كانوا في البداية خمسون ثم تكاثروا حيث كانوا ينضمون إليه في القصر عبر باب الروميّين.

ما هي أهداف انتفاضة مسلم المسلّحة؟

لا أظن بتاتاً بأن هدف انتفاضة مسلم كانت السيطرة على الحكم في الكوفة حتى في تلك اللحظة، وقد ناقشنا هذا الموضوع سالفاً، ولو كان هدف مسلم الاستيلاء على القصر لكان الطريق لذلك أسهل وكان بالإمكان الاستعانة ببعض المكائد والكمائن سواء في ذلك اليوم أو قبله أو بعده، ولكن كان هناك هدفين رئيسيين أعظم بكثير من ذلك، وهما:

١- أعظم هدف بالنسبة لمسلم رضوان الله عليه هو الاختبار الميداني المسلّح والاستيثاق اليقيني لبيعة أهل الكوفة، فإذا كانوا مستعدين لمواجهة النظام والثبات في وجهه من أجل شخصية كهانئ بن عروة، فهم بالتأكيد سيكونون أشد ثباتاً واستقامةً مع سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه وإمام الأمة في زمانه، وقد ثبت في هذا الاختبار الحقيقي أن أهل الكوفة لم يكونوا بقدر ما ادّعوه من ادعاءات بنصرة الإمام عليه السلام، وهذه أول فرصة حقيقية لاختبار موقف عشرات الآلاف ممن بايعوا بلسانهم وصفقة أيديهم فقط.

فمن الأمور التي قد تؤكد ذلك هو إعلانه

للقيام بوجه ابن زياد بشكل مفاجئ ودون توقيت مسبق، ليرى مدى استعداد أنصاره للقيام مع الإمام الحسين عليه السلام في أية لحظة وتحت أي ظرف طارئ، بل ومن دون وجود أو دراية عدد كبير من وجهاء الشيعة وقادتهم العشائريين، فمسلم لم يكن يريد اختبار أولئك فولائهم على مر السنين الطويلة كان ثابتاً ومضموناً، وإنما كان يريد اختبار عامة الناس الذين بايعوه وعقدوا معه العهود والمواثيق.

تقول المرويات التاريخية إن الذين خرجوا مع مسلم في منتصف النهار كانوا أربعة آلاف، ثم تناقصوا إلى خمسمائة (الطبري)، ثم ثلاثمائة (الثقات)، ثم لم تغرب الشمس إلا ومعه ستون فقط (الطبقات الكبرى)، ثم صلّى بثلاثون فقط (أنساب الأشراف، والطبري، والأخبار الطوال)، ثم خرج إلى الطريق بعشرة منهم فقط (مقتل الخوارزمي، والثقات)، ثم دخل إلى أزقّة كندة وليس معه أحد على الإطلاق!

٢- الهدف الثاني والمبرر الظاهر للانتفاضة هو تحرير هانئاً رحمه الله من يد الطاغية ابن زياد، وهو ابن المدينة وشيخ قبيلة كبيرة من قبائلها وحليف آخرين، إلى جانب كونه أحد أركان الدعوة إلى بيعة الإمام الحسين عليه السلام.

وقد نجح الهدف الأساسي الأول والأهم من الانتفاضة وهو كشف مدى صلابة (أو هشاشة) موقف الكوفيين وحقيقة بيعتهم، بينما لم يتحقق الهدف الثاني كنتيجة لانكشاف موقف الكوفيين فيما يتصل بالهدف الأول.

تساؤل أخير:

يبقى تساؤل أخير، وهو: أين كان المختار الثقفي وحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وسليمان بن صرّد وميثم التمّار وكميل ابن زياد وإبراهيم الأشتر والمسيّب بن نجبة وبرير بن خضير وأبو ثمامة الصائدي وغيرهم من صناديد وشيوخ الشيعة؟ وكيف لم يرد لهم ذكر في مهمة مسلم؟ وأين كانوا حين حاصر مسلم القصر، وحين بقي بعدها وحيداً؟ ولماذا لم ينتقدهم الأئمة عليهم السلام فيما بعد، ولم يشيروا إليهم بسوء، ولم يصفوهم بالخذلان؟

والجواب هو:

١- لا توجد في المطوّلات التاريخية التي تعرضت لسيرة الإمام الحسين عليه السلام ولحوادث كربلاء أية إجابات وافية وشافية لهذا الموضوع، بل تجاهل شبه تام له، وكل ما في الأمر هو وجود إشارات إلى أن بعض الشيعة وشخصياتهم كانوا معتقلين (دون ذكر للتفاصيل)، والمشكلة هنا أن أغلبهم اعتقلوا بعد حادثة مسلم وليس قبلها، مما يُبقي التساؤل قائما. وأما أمثال المختار وسليمان فقد تم التعرض لمواقفهما بالتفصيل ولكن بعد واقعة كربلاء الفجيعة.

مسلم الأمني: كان مسلم رحمه الله من الحذاقة والنباهة بحيث أنّه وظّف اعتقال هانئاً رحمه الله ليختبر أهل الكوفة بصورة فعلية وحقيقية (فخرج بهم لمحاصرة القصر) دون أن يعرض أمن شيعة الإمام الحسين عليه السلام للخطر أو يعرضهم للمواجهة والكشف والاعتقال أو للقتال والقتل، فلم يكن هدفه امتحان الشيعة (ولذلك لم نجد أسمائهم بين من خرج لمحاصرة القصر) وإنما خرج بالآلاف التي بايعته على النصرة والقتال، واكتشف بصورة لا تقبل اللبس بأن ولاء هؤلاء وبيعتهم للنصرة لم تستغرق سوى بضع ساعات حين وضعت على محك التمحيص والاختبار.

٢- تقول المرويات التاريخية إن بعض هؤلاء كانوا خارج الكوفة حين قام مسلم بانتفاضته المسلحة على ابن زياد، كالمختار الذي كان في قرية تدعى (لقفا) في منطقة بابل، وحين وصل إليه نبأ خروج مسلم تجهّز مسرعاً ولكنه لم يصل إلى الكوفة إلا بعد انتهاء الأحداث التي حصلت بوتيرة سريعة، وحينها تم اعتقاله. وقد يكون هناك آخرين من قادة الشيعة قد ذهبوا إلى مناطق أخرى خارج الكوفة للتحشيد لقدوم الإمام الحسين عليه السلام ولدعم مسلم، وقد أشرنا إلى أن مسلماً قد اختار القيام بانتفاضته بصورة مفاجئة ليختبر الناس - وبالذات مع غياب أولئك القادة - لكشف موقف العامة ومدى صدقهم.

٣- من جهة أخرى لابد وأن يكون بعض أولئك الزعماء متواجداً في الكوفة حين أعلن

مسلم قيامه، وإذا لم يكونوا بالقرب منه في تلك اللحظة فقد كانت لديهم الفرصة حتى المساء للقدوم إليه ومساندته وإعادة تحشيد العامة حوله، ولكن ذلك لم يحصل، بل إن بعضهم كان مع مسلماً على رأس الأرباع كمسلم بن عوسجة، ولكن ذكره اختفى فيما بعد مع من اختفى وغاب وانسحب من اتباع مسلم، وهذا شيء عجيب من ابن عوسجة الذي تسلل بعد ذلك ببضعة أسابيع إلى كربلاء ليستشهد مع الإمام الحسين عليه السلام، وإلى جانب حبيب وبرير وغيرهم!

٤- والتفسير الأقرب لمنطق الأحداث والذي يرد إلى تفكيري المتواضع، هو أن غياب هذه الشخصيات عن الأحداث في ذلك اليوم كان بإيعاز من مسلم عليه السلام، فمسلم ومن وراءه

مسلم العسكري: كان مسلم من أبطال بني هاشم المعروفين لدى أهل الكوفة وكان ذلك أحد أسباب اطمئنانهم لبعثته في البداية ونظرتهم إليه كمؤهل لهذا الأمر، فقد كان مع كبار قادة جيش أمير المؤمنين عليه السلام في صفين وكان على ميمنة الجيش مع الإمامين الحسن والحسين صلوات الله عليهما ومع عبدالله بن جعفر، فقد روى ابن شهر آشوب في المناقب، بالقول: لما استهل صفر سنة سبع وثلاثين أمر علي فنودي بالشام والإعذار والإنذار، ثم عبّى عسكره فجعل على ميمنته الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى ميسرته محمد بن الحنفية ومحمد ابن أبي بكر وهاشم بن عتبة المرقال، وعلى القلب عبدالله بن العباس والعباس بن ربيعة بن الحارث والأشتر والأشعث، وعلى الجناح سعد بن قيس الهمداني وعبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ورفاعة بن شداد البجلي وعدي بن حاتم، وعلى الكمين عمار بن ياسر وعمرو ابن الحمق وعامر بن واثلة الكناني وقبيصة بن جابر الأسدي.

وقال محمد ابن الأشعث لابن زياد حين أرسله لاعتقال مسلم: أيها الأمير، أتظن أنك بعثتني إلى بقال من بقاقيل الكوفة أو جرمقاني من جرامقة الحيرة!؟ أفلا تعلم أيها الأمير أنك بعثتني إلى أسد ضرغام وبطل همام في كفّه سيف حسام يقطر منه الموت الزُؤام!؟

الإمام الحسين صلوات الله عليه لم يكونا بحاجة لاختبار هؤلاء، وإنما كانا بحاجة لاختبار موقف بقية الناس وعامتهم الذين وعدوا وتعاهدوا بالنصرة، ولو بقيت تلك الصفوة مع مسلماً في ذلك اليوم وخذلهم الناس فيمن خذلوا (كما حدث مع أحد أكبر الزعماء في الكوفة وهو هانئ بن عروة) لكانوا قُتلوا كلّهم وفُقدوا من بين الناس، وواقع الحال أن هؤلاء أو كثير منهم كانت لهم أدوار استراتيجية مهمة قاموا بها إمّا مع الإمام الحسين شخصيّاً في كربلاء، أو بعد واقعة كربلاء في عهد إمامة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه صلوات الله، ولم يكن غيرهم بقادر على أن يقوم مقامهم لو كانوا قد قتلوا في تلك اللحظة مع مسلم. ولعل هذا ما دعا مسلماً إلى أن لا يتوجه لبيت أحد منهم بعد انسحابه من موقع القصر في تلك العشيّة، وإنما اختار بيت امرأة عادية في حي من أحياء الكوفة ذات المنعة الاجتماعية والسياسية (كندة) حتى لا تجد السلطة مسوّغاً سهلاً للتعرض لها بسوء بعد أسر مسلم أو استشهاده رحمه الله.

كلمة أخيرة:

والخلاصة هي أن مسلم رحمه الله سار على ما نهجه له الإمام الحسين عليه السلام بدقة ولم يحد عنه قيد أنملة، فكما ذكرنا أن أهداف بعثته تركز أساساً على الاستيثاق من عهود أهل الكوفة وأخذ البيعة عليهم، واختبار مدى صدقهم وكشف حقيقة مواقفهم، ولم يتضمن برنامج عمله الاستيلاء على السلطة في تلك المرحلة أو القيام باغتيالات لشخصيات النظام أو غير ذلك، ولو كان غير مسلم هو المبعوث فلربما انجر وراء مثل تلك الخطوات بتحريض أو إغراء من قبل اتباعه أو الظروف الآنية، لكنه كان دقيقاً وتقيّاً وحازماً وبصيراً ومحل ثقة، وكان كما وصفه وكما أوصاه الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام، والذي يظن بأن مسلم لو قام ببعض تلك الأمور كاغتيال ابن زياد في بيت ابن عروة لتغيّرت الأوضاع وانتصرت حركته وتغيّر معها التاريخ هو قصير نظر وضعيف الرؤية في سيرة أهل البيت عليهم السلام وسياساتهم ونظرتهم الاستراتيجية، ولو أنه رحمه الله قام بتلك الأمور لتغيّر وجه التاريخ ربما ولكن نحو الأسوأ بكل تأكيد.

المصادر

١- الأصفهاني، أبي الفرج. **مقاتل الطالبيين**، الطبعة الثانية، (١٩٨٧م/ ١٤٠٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٢- ابن الجوزي، سبط. **تذكرة الخواص**، الطبعة الأولى، (١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٣- ابن شهرأشوب، أبي جعفر محمد بن علي. **مناقب آل أبي طالب**، الطبعة الأولى، (٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ)، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٤- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي. **البداية والنهاية**، منشورات بيت الأفكار الدولية، الرياض.

٥- ابن نما، جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الله. **مثير الأحزان ومنير سبل الأشجان**، الطبعة الأولى، (١٤٣٤هـ)، (تحقيق: المعلم، السيد محمد)، منشورات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة.

٦- الخطيب، صفاء. **دولة المختار الثقفي – رؤية جديدة**، الطبعة الرابعة، (١٤٣٢ه/ ٢٠١١م)، دهر العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٧- الخوارزمي، أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي. **مقتل الحسين** عليه السلام، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ)، (تحقيق: سماوي، محمد)، أنوار الهدى، قم المقدسة.

٨- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود. **الأخبار الطوال**، الطبعة الأولى، (١٩٦٠م)، (تحقيق: عامر، عبدالمنعم؛ الشيال، د. جمال الدين)، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة.

٩- الريشهري، محمد. **الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه** عليهم السلام، الطبعة الأولى، (١٤٣٤هـ)، (بمساعدة: نجاد، محمود الطباطبائي؛ والسيد طبائي، روح الله)، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدسة.

١٠- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الأمم والملوك**، منشورات بيت الأفكار الدولية، الرياض.

١١- الطبسي، نجم الدين. الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية، الطبعة الأولى، (١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م)، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

١٢- المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان. **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، الطبعة الأولى، (١٩٩٥م/ ١٤١٦هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت.

١٣- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر. **تاريخ اليعقوبي**، الطبعة الأولى، (١٩٩٩م/ ١٤١٩هـ)، (تحقيق: المنصور، خليل)، دار الكتب العلمية، بيروت.

أسماء

تصدر عن:
رضوى للإنتاج الثقافي

للمراسلات:
asmaaletterhead@gmail.com

توضيح:
محتوى **أسماء** متاح للراغبين في الاقتباس، مع ملاحظة نسب الاقتباسات إلى النشرة.

رضوى
للانتاج الثقافي